

مختصر ابن كثير

- 20 - وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين .
- 21 - يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين .
- 22 - قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون .
- 23 - قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين .
- 24 - قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون .
- 25 - قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين .
- 26 - قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين .
- يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وكليمه (موسى بن عمران) عليه السلام فيما ذكر به قومه من نعم الله عليه وآلائه لديهم في جمعه لهم خير الدنيا والآخرة لو استقاموا على طريقتهم المستقيمة فقال تعالى : { وإذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء } أي كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن أبيكم إبراهيم إلى من بعده وكذلك كانوا لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلى الله ويحذرون نقمته حتى ختموا بعيسى بن مريم عليه السلام ثم أوحى الله إلى خاتم الأنبياء والرسل على الإطلاق محمد بن عبد الله المنسوب إلى إسماعيل ابن إبراهيم عليه السلام وهو أشرف من كل من تقدمه منهم صلى الله عليه وسلم .
- وقوله : { وجعلكم ملوكا } قال عبد الرزاق عن ابن عباس في قوله { وجعلكم ملوكا } قال : الخادم والمرأة والبيت وعنه قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار سمي ملكا . وقال ابن جرير عن عبد الله بن عمرو بن العاص وساله رجل فقال : أسلنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال عبد الله : ألك امرأة تأوي إليها ؟ قال : نعم قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم قال : فأنت من الأغنياء . فقال : إن لي خادما قال : فأنت من الملوك . وقال الحسن البصري : هل الملك إلا مركب وخادم ودار ورواه ابن جرير . وقال السدي في قوله { وجعلكم ملوكا } قال : يملك الرجل منكم نفسه وماله وأهله وقد ورد في الحديث : " من أصبح منكم معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنهما حيزت له الدنيا بحذاقيرها

" (لفظ الحديث عند الترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن محسن : " من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنهما حيزت له الدنيا بحذاقيها " .

وقوله تعالى : { وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين } يعني عالمي زمانكم فإنهم كانوا أشرف الناس في زمانهم من اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم كما قال : { وفضلناهم على العالمين } وقال تعالى إخبارا عن موسى : { قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين } والمقصود أنهم كانوا أفضل أمم زمانهم وإلا فهذه الأمة أشرف منهم وأفضل عند الله وأكمل شريعة وأقوم منهاجا وأكرم نبيا وأعظم ملوكا وأغزر أرزاقا وأكثر أموالا وأولادا وأوسع مملكة وأدوم عزا . قال الله تعالى : { وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس } . وقد ذكرنا الأحاديث المتواترة في فضل هذه الأمة وشرفها وكرمها عند الله عند قوله تعالى : { كنتم خير أمة أخرجت للناس } وقيل : المراد { وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين } يعني بذلك ما كان تعالى نزله عليهم من المن والسلوى يظللهم به من الغمام وغير ذلك مما كان تعالى يخصهم به من خوارق العادات فإنه أعلم . ثم قال تعالى مخبرا عن تحريض موسى عليه السلام لبني إسرائيل على الجهاد والدخول إلى بيت المقدس الذي كان بأيديهم في زمان يعقوب لما ارتحل هو وبنوه وأهله إلى بلاد مصر أيام يوسف عليه السلام ثم لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى فوجدوا فيها قوما من العمالقة الجبارين قد استحوذوا عليها وتملكوها فأمرهم رسول الله موسى عليه السلام بالدخول إليها وبقتال أعدائهم وبشرهم بالنصر والظفر عليهم فنكلوا بالذهاب وعصوا وخالفوا أمره فعوقبوا في التيه والتمادي في سيرهم حائرين لا يدرون كيف يتوجهون فيه إلى مقصد مدة أربعين سنة عقوبة لهم على تفریطهم في أمر الله تعالى فقال تعالى مخبرا عن موسى أنه قال : { يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة } أي المطهرة . عن ابن عباس قال : هي الطور وما حوله وكذا قال مجاهد وغير واحد (المراد بالأرض المقدسة : بيت المقدس وما حوله ويقال لها : إيليا وتفسيرها : بيت الله . ويعني بالجبارين : قوما كانوا فيها من العمالقة وهم بنو عملاق بن لاوذ) .

وقوله تعالى : { التي كتب الله لكم } أي التي وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل أنه وراثته من آمن منكم { ولا تتردوا على أديباركم } أي تنكلوا عن الجهاد { فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون } أي اعتذروا بأن في هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها قوما جبارين ذوي خلق هائلة وقوى شديدة وإننا لا نقدر على مقاومتهم ولا مصاولتهم ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها فإن يخرجوا منها دخلناها وإلا فلا طاقة لنا بهم .

وقوله تعالى : { قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما } أي فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى حرضهم رجلان الله عليهما معمة عظيمة وهما ممن يخاف أمر

ا] ويخشى عقابه وقرأ بعضهم : { قال رجلان من الذين يخافون } أي ممن لهم مهابة وموضع من الناس ويقال إنهما (يوشع بن نون) و (كالب بن يوفنا) (ضبط في سفر العدد : يفنه : بفتح الياء وضم الفاء وتشديد النون وقال السهيلي : إنهما يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف عليه السلام والآخر : كوطت بن يوفنا . قال : وأحسبه من سبط يهوذا بن يعقوب . وقال : ويوشع هو الذي حارب الجبارين . واختلف : أكان موسى معه في تلك الغزاة أم لا ؟ وفيها حبست عليه الشمس حتى دخل المدينة وفيها أحرق الذي وجد الغلول عنده في مكان يقال له غور عاجر عرف باسم الرجل الغال . كما ذكره الطبري) قاله ابن عباس ومجاهد عكرمة وغير واحد من السلف والخلف رحمهم ا] فقالا : { ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ... وعلى ا] فتوكلوا إن كنتم مؤمنين } أي إن توكلتم على ا] واتبعتم أمره ووافقتم رسوله نصركم ا] على أعدائكم وأيديكم وطفركم بهم ودخلتم البلد التي كتبها ا] لكم فلم ينفع ذلك فيهم شيئا { قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون } وهذا نكول منهم عن الجهاد ومخالفة لرسولهم وتخلف عن مقاتلة الأعداء ويقال : إنهم لما نكلوا على الجهاد وعزموا على الإنصراف والرجوع إلى مصر سجد موسى وهرون عليهما السلام قدام ملأ من بني إسرائيل إعظاما لما هموا به وشق يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ثيابهما ولاما قومهما على ذلك فيقال : إنهم رجموهما وجرى أمر عظيم وخطر جليل . وما أحسن ما أجاب به الصحابة Bهم يوم بدر رسول ا] صلى ا] عليه وسلّم حين استشارهم في قتال النفير فتكلم أبو بكر Bه فأحسن ثم تكلم من تكلم من الصحابة من المهاجرين ورسول ا] صلى ا] عليه وسلّم يقول : " أشيروا علي أيها المسلمون " وما يقول ذلك إلا ليستعلم ما عند الأنصار لأنهم كانوا جمهور الناس يومئذ فقال سعد بن معاذ : كأنك تعرض بنا يا رسول ا] فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق (صبر وصدق بضميتين فيها جمع صبور وصدق) في اللقاء لعل ا] أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة ا] . فسر رسول ا] صلى ا] عليه وسلّم بقول سعد ونشطه ذلك . وممن أجاب يومئذ (المقداد بن عمرو الكندي) Bه كما قال عبد ا] بن مسعود Bه : لقد شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به أتى رسول ا] صلى ا] عليه وسلّم وهو يدعو على المشركين فقال : وا] يا رسول ا] لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى { اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون } ولكننا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت وجه رسول ا] صلى ا] عليه وسلّم أشرق لذلك وسره ذلك وهكذا رواه البخاري في المغازي ولفظه في كتاب التفسير عن عبد ا] قال قال المقداد يوم بدر يا رسول ا] لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى { اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون } ولكن امض ونحن معك . فكأنه سري عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى : { قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين } يعني لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام وقال داعيا عليهم : { رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي } أي ليس أحد يطيعني منهم فيمثل أمر الله ويجب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هرون { فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين } قال ابن عباس : يعني اقض بيني وبينهم وكذا قال الضحاك : اقض بيننا وبينهم وافتح بيننا وبينهم وقال غيره : افرق افضل بيننا وبينهم كما قال الشاعر : .

يا رب فافرق بينه وبينني ... أشد ما فرقت بين اثنين .

وقوله تعالى : { قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض } الآية لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدة أربعين سنة فوقعوا في التيه يسرون دائما لا يهتدون للخروج منه . وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة : من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا : تجري لكل شعب عين وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران . وهناك نزلت التوراة وشرعت لهم الأحكام . عن سعيد بن جبير : سألت ابن عباس عن قوله : { فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض } الآية . قال : فتأهوا في الأرض أربعين سنة يصحون كل يوم يسرون ليس لهم قرار ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى . وهذا قطعة من حديث الفتون . ثم كانت وفاة هرون عليه السلام ثم بعده بمدة ثلاث سنين وفاة موسى الكليم عليه السلام وأقام الله فيهم (يوشع بن نون) عليه السلام نبيا خليفة عن موسى بن عمران ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة ويقال : إنه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام أو بمن بقي منهم وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني فقصدهم بهم بيت المقدس فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر . فلما تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم قال : إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي فحبسها الله تعالى حتى فتحها وأمر الله (يوشع بن نون) أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس أن يدخلوا بابها سجدا وهم يقولون حطة : أي حط عنا ذنوبنا فبدلوا ما أمروا به ودخلوا يزحفون على أستاههم هم يقولون : حبة في شعرة وقد تقدم هذا كله في سورة البقرة .

وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس عليه السلام قوله : { فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض } قال : فتأهوا أربعين سنة قال : فهلك موسى وهرون في التيه وكل من جاوز الأربعين سنة فلما مضت الأربعون سنة ناهضهم يوشع بن نون وهو الذي قام بالأمر بعد موسى وهو الذي

افتتحها فوجد فيها من الأموال ما لم ير مثله قط فقربوه إلى النار فلم تأته فقال : فيكم الغلول قدعا رؤوس الأسباط وهم اثنا عشر رجلا فبايعهم والتصقت يد رجل منهم بيده فقال : الغلول عندك فأخرجه فأخرج رأس بقرة من ذهب فوضعه مع القربان فأنت النار فأكلته . وهذا السياق له شاهد في الصحيح . وقد اختار ابن جرير أن قوله : { فإنها محرمة عليهم } هو العامل في أربعين سنة وأنهم مكثوا لا يدخلونها أربعين سنة وهم تائبون في البرية لا يهتدون لمقصد قال : خرجوا مع موسى عليه السلام ففتح بهم بيت المقدس ثم احتج على ذلك بإجماع علماء أخبار الأولين أن (عوج ابن عنق) قتله موسى عليه السلام قال : فلو كان قتله إياه قبل التيه لما رهبت بنو إسرائيل من العماليق فدل على أنه كان بعد التيه قال : وأجمعوا على أن (بلعام بن باعورا) أعان الجبارين بالدعاء على موسى قال : وما ذلك إلا بعد التيه لأنهم كانوا قبل التيه لا يخافون من موسى وقومه .

وقوله تعالى : { فلا تأس على القوم الفاسقين } تسلية لموسى عليه السلام عنهم أي لا تأسف ولا تحزن عليهم فيما حكمت عليهم به فإنهم مستحقون ذلك وهذه القصة تضمنت تقرير اليهود بينا فضائحهم ومخالفتهم ﷺ ولرسوله ونكولهم عن طاعتها فيما أمرهم به من الجهاد فضغت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم مع أن بين أظهرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكليمه وصفيه من خلقه في ذلك الزمان وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم هذا مع ما شهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والغرق له ولجنوده في اليم وهم ينظرون لتقر به أعينهم وما بالعهد من قدم ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلدهم بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل ولا يسترها الذيل هذا وهم في جهلهم يعمهون وفي غيهم يترددون وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه ويقولون مع ذلك نحن أبناء الله وأحباؤه فقبح الله وجوههم التي مسخ منها الخنازير والقروود وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود ويقضى لهم فيه بتأبيد الخلود وقد فعل وله الحمد من جميع الوجود